جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية

قسم اللغة العربية وآدابها

محاضرات مقياس البلاغة العربية

محاضرة: مباحث علم البيان

علم البديع: يهتم هذا العلم بالمحسنات البديعية في النصّ، ووظيفة هذه المحسنات تكمن في إضفاء موسيقى داخلية على النص الأدبي، وهذه المحسنات هي: الجناس بأنواعه، والطباق و السجع والمقابلة, إضافة إلى ألأوان بديعية أخرى كالتورية والتصريع و....

الجناسُ:الجناسُ، هو تشابهُ لفظينِ في النطقِ، واختلافهُما في المعنَى، وهو ينقسم إلى نوعين: تامٌّ وغيرُ تامٍّ.

الجناسُ التامُّ: هوَ مَا اتفقَ فيهِ اللَّفظانِ المتجانسانِ في أربعةِ أشياءَ، نوعِ الحروف، وعددِها، وهيئاتِها الحاصلةِ منَ الحركاتِ والسكناتِ، وترتيبِها مع اختلافِ المعنَى، كقولِهِ – تَعَالَى –: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾، وكقولِ الشَّاعِرِ فِي رثاءِ صغيرٍ اسمُهُ يَحْيَى: وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ إِلى رَدِّ أَمْرِ اللهِ فِيهِ سَبيلُ ففِي هذَينِ المثالينِ نجدُ كلَّ كلمتينِ تُجانِسُ إحداهُما الأخرَى وتشاكلُها فِي اللَّفظِ مَع اختلافٍ فِي المعنَى، وإيرادُ الكلامِ علَى هذَا الوجهِ يسمَّى جناساً.

ففي المثالِ الأوَّلِ نجدُ أَنَّ لفظَ "السَّاعة" مكررٌ مرتين، وأنَّ معنَاه مرةً يومُ القيامَةِ، ومرةً إحدَى الساعاتِ الزمانيَّة، وفِي المثالِ الثانِي نرَى "يَحْيى" مكرراً مَع اختلافِ المعنَى. واختلافُ كلِّ كلمتين فِي المعنَى عَلَى هَذَا النَّحوِ مَع اتفاقِهِما فِي نوعِ الحُروفِ وشكلِها وعددِها وترتِيبها يُسمَّى "جناساً تامًّا"[3]

الجناسُ غيرُ التامِّ: هُوَ مَا اختلفَ فيه اللفظانِ فِي واحدٍ مِنَ الأمور الأربعةِ السَّابقةِ الَّتي يَجبُ توافرُها فِي الجناسِ التامِّ وهِيَ: نوعُ الحروفِ، وعددُها، وهيئاتُها الحاصلةُ من الحركاتِ والسكناتِ، وترتيبُها مع اختلافِ المعنَى، كقولِ اللهِ – تَعَالَى –: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[4]. وقولِ ابنِ الفارضِ:

هَلاَّ نَهَاكَ نُهَاكَ عَنْ لَوْمِ امْرِئٍ لَمْ يُلْفَ غَيْرَ مُنَعَّمٍ بِشَقَاءِ

إذا تأمَّلنا كلَّ كلمتين متجانستين في هذين المثالين رأيْنَا أنَّهما اختلفتَا فِي ركنٍ مِن أَركانِ الوِفَاقِ الأَربعةِ المتقدِّمةِ، مثلُ "تقْهر" و"تَنْهَر"، و"نَهاكَ" و"نُهَاكَ". عَلَى ترتيبِ الأَمثلةِ، ويُسمَّى ما بَيْنَ كلِّ كلمتين هنَا مِنْ تَجَانسٍ "جناساً غير تامٍّ".

الطباقُ والمقابلة:

أولاً: الطباق:هو الجمعُ بَينَ الشَّيءِ وضِدِّهِ فِي الكلامِ، وهُوَ نوعانِ:

أ- طِبَاقُ الإيجابِ: هو ما لم يختلفْ فيه الضِّدانِ إيجاباً وسلباً، كقولِهِ – تَعَالَى-: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وكقولِهِ – تَعَالَى -: ﴿..وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ..﴾ ، ففيهما تطابقٌ إيجابيٌّ بين هذه المذكوراتِ.

ب- طِبَاقُ السَّلبِ: هو ما اختلفَ فيه الضِّدَانِ إيجاباً وسلباً، بحيثُ يُجمعُ بين فعلينِ من أصل واحدٍ، أحدُهُما مثبتٌ مرةً، والآخرُ منفيٌّ تارةً أخرى، في كلامٍ واحدٍ، كقولِهِ – تَعَالَى -: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ...﴾ ، وكقولِهِ – تَعَالَى -: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾، وكقولِهِ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾

– أو أحدهُما أمرٌ، والآخرُ نهيٌ، كقولِهِ – تَعَالَى-: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، وقولِهِ: ﴿..فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ..﴾.

ثانياً: المقابلةُ:

هِيَ أنْ يؤتَى بمعنيين متوافقينِ أو معانٍ متوافقةٍ، ثم يُؤتَى بِمَا يقابلُ ذَلِكَ عَلَى الترتيبِ، أو مجموعةُ كلماتٍ ضدَّ مجموعةِ كلماتٍ فِي المَعنَى عَلَى التَّوالِي.

وتَأتِي المقابلةُ فِي خَمسِ صور:

1- مقابلةُ معنيينِ بمعنيينِ، كقولِهِ – تَعَالَى -: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾

2- مقابلة ثلاثةٍ بثلاثةٍ، كقولِهِ – تَعَالَى -: ﴿...يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ...﴾.

3- مقابلةُ أربعةٍ بأربعةٍ، كقولِهِ – تَعَالَى -: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى *

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾.

وكقولِ الشاعرِ أبي تمام:

يَا أمَّةً كانَ قُبْحُ الجوْر يُسْخِطُها دهْرًا فأصْبَحَ حُسْنُ العَدْل يُرْضِيها

1- مقابلةُ خمسةٍ بخمسةٍ، قال المتنبّي:

أزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللّيْلِ يَشفَعُ لي وَأنثَني وَبَيَاضُ الصّبحِ يُغري بي

2- مقابلةُ ستةٍ بستةٍ، قال عنترةُ العبسيُّ:

على رأسِ عبدٍ تاجُ عِزٍّ يزينهُ وفي رِجْلِ حرّ قيدُ ذُلٍّ يَشينهُ

– السجع : هو كلام ذو قافية واحدة ، أي اتفاق الحرف الأخير من كل جملة .